استشعار الشباب بمسؤولية الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلاة وسلاماً على خير خلق الله، سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد..

إخوة الإيمان والإسلام:

إذا أردنا أن نتكلم في هذا اللقاء عن استشعار الشباب بمسؤولية الإسلام وهذا يعد من أهم المقومات، فلابد وأن نعلم بداية أنه من أهم الأمور التي ينبغي أن يضعها الشباب نصب أعينهم أن يحذروا من الانسياق وراء التقليد الأعمى بلا روية ولا تفكير.

والتقليد [1]:هو عبارة اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة فيه من غير نظر أو تأمل في الدليل. كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه، وهو بالجملة يعني: قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل. والتقليد الأعمى دليل الهزيمة الروحية والنفسية وعدم الإيمان بالذات. ويفضي بالأمم والشعوب إلى الهلاك والدمار. وعلى الشباب أن يعي جيداً أن التقليد يدور بين الحل والحرمة على النحو التالي:

* **الجواز**: وذلك في استمداد العلم المفيد والحضارة النافعة، كعلم الطب وغيره، وكل ما ينفع الإنسان. فالحكمة ضالة المؤمن، إذا وجدها فهو أولى بها.

* **التحريم**: وذلك في تقليد السلوك والأخلاق والعادات والتقاليد، إلى غير ذلك مما لا يتفق مع ديننا الحنيف، مثل تقليد الغربيين في أكلهم وشربهم وأزيائهم وأخلاقهم المنحرفة.

ولقد أمر دين الإسلام بنبذ التقليد، وبيّن الله عز وجل في كتابه أن هذا التقليد الأعمى سبب جملة أسباب حالت بين الناس وبين الإيمان.

قال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ

(١) الجرجاني نقلا عن منهج السنة النبوية في تربية الإنسان.

ءَابَآءَنَآ}[1].{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ }[2].

فهؤلاء الكفار المعاندون عارضوا الدلالة بالتقليد بلا نظر ولا تأني ولا حجة، ويقول الله عز وجل :{ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا}[3].

فانظر - رعاك الله - إلى تلك النتيجة التي أدى إليها التقليد الأعمى للسابقين - إنه الكفر بالله رب العالمين. لذلك كره الإسلام التقليد الأعمى بلا فكر ولا روية ولا نظر ولا تأنٍ. بل الإيمان بالله رب العالمين يجب أن يكون قائماً على الاقتناع الكامل والتصديق بلا تقليد ولا إجبار.

ونهانا رسول الله ﷺ عن التقليد، وبيّن أن المسلم يجب أن تكون له شخصيته الفريدة المتميزة، ولا يصبغ إلا بصبغة الله عز وجل{ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ }[4]. فالمسلم لا يقلد في شعائره ولا في أخلاقه، ولا مظهره، ولا في عاداته وتقاليده غير المسلمين، لا يقلد شرقيا ولا غربيا، ولا يقلد يهودياً ولا نصرانياً ممن على غير ملته ودينه. لذلك نجد الأحاديث النبوية الكثيرة التي تحذر من هذا التقليد الممقوت، ومنها ما يلي:

* قول النبي ﷺ: **«لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا»**[5].

والإمعة: هو الذي يتابع كل ناعق ويقول أنا معك، والنهي هنا في الأخلاق، فضلاً عن الاعتقاد والعبادات.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٠).
(٢) سورة المائدة الآية (١٠٤).
(٣) سورة الأعراف (٢٨).
(٤) سورة البقرة الآية (١٣٨).
(٥) سنن الترمذي (٢٠٠٧)، قال الشيخ الألباني ضعيف برقم ٥١٢٩ - (٧)، كتاب مشكاة المصابيح.

* ويروي مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة، ليس يُنادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصاري، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود. فقال عمر: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال النبي ﷺ: «**يا بلال قم فناد بالصلاة**».

* ويقول النبي ﷺ: «**وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**» (١).

* ويقول ﷺ: «**ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود والنصارى**» (٢).

* ويقول النبي الكريم ﷺ: «**لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء**»(٣).

لذلك فإن ما نراه من شبابنا وبناتنا ونسائنا اليوم، هو تقليد أعمى لأهل الكفر والضلال، وهو ما حذر منه النبي ﷺ حين قال:

«**لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**». قالوا مَن يا رسول الله؟.. اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**».

ثانياً: استشعار الشباب بمسؤولية الإسلام :

إخوة الإسلام:

إذا ما تخلى الشباب عن هذا التقليد الأعمى، وساروا على المنهج القويم هنا نستطيع أن نحملهم أمانة الإسلام، ويتحملوا أعباء هذا الدين الحق. وفي ذلك يقول د/ مصطفى السباعي (٤):

أ - ليعلم الشباب أن العصبة المؤمنة التي تركزت في دار الأرقم بن

(١) رواه أحمد (٥١١٤) قال الشيخ الألباني في كتاب تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام.

(٢) رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو (٢٦٩٥) قال الشيخ الألباني حسن في صحيح الجامع برقم (٥٤٣٤).

(٣) رواه البخاري والترمذي من حديث ابن عباس (٥٥٤٧).

(٤) من كتابه "السيرة النبوية" نقلاً عن تربية الأولاد في الإسلام.

أبي الأرقم، وعلى يديها تحقق نصر الإسلام، كانوا شباباً، فرسول الله ﷺ كان عمره أربعين سنة عند البعثة، وأبو بكر ﷺ كان أصغر منه بثلاث سنين، وعمر ﷺ كان عمره سبعا وعشرين سنة، وعثمان ﷺ كان أصغر من رسول الله، وعلي ﷺ أصغر من الجميع، وهكذا ابن مسعود، وعبدالرحمن بن عوف، والأرقم بن أبي الأرقم، ومصعب، وعمار... وغيرهم.

ب - هؤلاء الشباب: هم الذين حملوا على كواهلهم أعباء الدعوة، وهم الذين استعذبوا في سبيلها أسمى آيات الصبر والعذاب والتضحية، وهم الذين واصلوا ليلهم بنهارهم.. حتى حققوا لهذا الإسلام انتشاره، ولهذا الدين كيانه، فما بين عشية وضحاها، قامت للمسلمين دولة وسلطان فخضع لحكمهم المملكتان العظيمتان فارس والروم وبلاد الشام وإفريقية وغيرها في خمس وثلاثين سنة.

هذا ما جعل هارون الرشيد يقول، وهو يصور للعالم بسطة العالم الإسلامي فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره: أمطري حيث شئت، فإن خراجك سيحمل إلينا.

جـ - هؤلاء الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم بإحسان لم يبلغوا قمة المجد والعظمة إلا بشيئين عظيمين:

الأول: التزامهم الإسلام عقيدة وفكراً، قولاً وعملاً، تحقيقاً وتطبيقا: وقد ضمنوا في ذلك النصر المؤزر والفتح المبين والغلبة الظافرة على أعداء الله وأعداء الدين، وبدون ذلك لا يمكن أن يتحقق لهم النصر.

ومن تلك المواقف التي يذكرها التاريخ:

عندما استبطأ عمر بن الخطاب ﷺ فتح مصر، كتب إلى عمرو بن العاص، وكان قائداً عاماً على الجيش يقول: أما بعد: فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين، ومازال إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى - لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم.

ولننظر - إخوة الإسلام - إلى تلك المقولة الرائعة، التي قالها عمر

أيضاً: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله [1].

الثاني: حملهم رسالة الإسلام إلى الدنيا بجهادهم واستبسالهم:

لقد وصلت فتوحات هؤلاء الأفذاذ إلى آخر الغرب، مما جعل الفاتح الكبير عقبة بن نافع يقف على شاطئ المحيط الأطلسي " بحر الظلمات "، وقد خاض جواده في الماء، ويقول: اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك، اللهم فاشهد.

د - فجيل المسلمين اليوم إذا نهج نهج الجدود في التزام الإسلام وتتبع سير السلف الصالح في الجهاد والتضحية، والصبر والمصابرة سوف يتحقق على يديه العزة والكرامة. وسوف ترجع هذه الأمة لتكون من جديد - خير أمة أخرجت للناس. فهم رجال وسلفهم رجال، وقد امتدح الله - سبحانه - عزائم الرجال فقال:

{رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلًا} [2]. وقال: {رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧} [3].

إخوة الإسلام:

إن العالم كله اليوم في تيه وظلمات، ويعاني عناء مراً في كل مجالات الحياة، ولو عاد العالم إلى الإسلام، لعاد إليه الأمن والأمان والسعادة والاستقرار؛ ذلك لأن العالم مدين للإسلام بتعاليمه ومبادئه.

يقول إلياس أبو شبكة في كتابه: روابط الفكر والروح بين العرب والإفرنجة: إن زوال الحضارة العربية كان شؤما على أسبانية وأوربة فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب، وطالما ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب.

ويقول المؤرخ الإنجليزي ويلز في كتابه " ملامح تاريخ الإنسانية": إن أوربا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية.

---

(١) روى هذه المقولة الحاكم.
(٢) سورة الأحزاب الآية (٢٣).
(٣) سورة النور الآية (٣٧).

ولذا فإن جيل الإسلام اليوم مطالب بأداء مسؤوليته الكبرى ودوره الحضاري في إنقاذ البشرية من ظلمات المادية الطاغية، وعواصف الحروب المدمرة. وهذا لا يتأتى إلا بحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى الدنيا من جديد حتى يسود الرخاء والأمن والاستقرار تحت كل سماء، وفي كل أرض، وتنعم الإنسانية بنور الإيمان وشريعة القرآن. تلك الشريعة الغراء التي تتم وتنعم بالربانية والعالمية والشمول والعطاء والخلود.

أما اتسامها بالربانية: فلأنها تنزيل من حكيم حميد.

وأما اتسامها بالعالمية: فلأنها شريعة تصلح البشرية جمعاء.

وأما اتسامها بالشمول: فلأنها جاءت لتشمل مناهج الحياة كلها.

وأما اتسامها بالعطاء: فلأنها تفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان.

وأما اتسامها بالخلود: فلأنها تحمل في طبيعتها بذور نمائها واستمرارها إلى يوم الدين[1].

ويكفي أمة الإسلام فخراً وشرفاً وخلوداً أن يقول الله عنها في محكم تنزيله: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [2]. وبذلك يتحقق الأمن والأمان، والسلامة والإسلام في شتى ربوع الأرض.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

* * *

(١) تربية الأولاد في الإسلام بتصرف.
(٢) سورة آل عمران الآية (١١٠).

معالجة مشكلة البطالة من منظور الفكر الإسلامي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله - تعالى - من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمة. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين.. وبعد

إخوة الإسلام:

إن مشكلة البطالة تعتبر من المشكلات العالمية الخطيرة، وتمثل بحق الشغل الشاغل، ليس على الصعيد المحلي فحسب، وإنما على الصعيد العربي والعالمي أيضاً، لما لها من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية خطيرة، ونظراً لأهمية هذا الموضوع، وما يعانيه الشباب في هذه الفترة، فإننا سنتعرض لمشكلة البطالة ومعالجتها من منظور الفكر الإسلامي والفكر الوضعي.

إن الإسلام حين دعا إلى العمل وحث عليه، نهى عن البطالة وهي قعود الرجل فارغاً عن العمل؛ لأن البطالة تؤدي إلى فساد المجتمع واضطرابه، إذ أنها مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية.

وإذا أردنا أن نتحدث عن تعريف البطالة، فإن لها تعريفات مختلفة.

أما البطالة في اللغة - وتصح بفتح الباء وكسرها وضمها - فهي من بَطَل الشيء يبطل بُطلا وبُطُولا وبُطلانا.

وهي في الاصطلاح تعني: عدم توافر العمل والأجر المناسبين للراغبين فيه القادرين عليه.

أما البطالة في القرآن والسنة [1]: المتتبع للفظ بطل في القرآن الكريم وما اشتق منه، يجد أنه ورد قرابة ٣٦ مرة. كذلك ورد لفظ بطل ومشتقاته في الحديث قرابة ٤٠ مرة، منها ما ورد في "كشف الخفاء" للعجلوني، قال

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن والحديث.

رسول الله ﷺ: «**إن الله يكره الرجل البطال**». وقوله ﷺ: «**البطالة تُقسِّي القلب**».

ويقول النبي ﷺ: «**إن الله لا يحب الفارغ الصحيح، لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة**» [1].

ويفسر الفارغ: بأنه الذي لا عمل له. ويلاحظ أن تشبيه المتعطل بالفارغ هو أدق تكييف لهذه الحالة من الضياع الاقتصادي والاجتماعي، بل والضياع الديني.

إخوة الإسلام والإيمان:

ولقد كره السلف الصالح البطالة [2]. من ذلك ما رواه البيهقي في الشعب، لما سئل: ما شر شيء؟ قال: البطالة في العالم.

ويقول ابن وهب: لا يكون البطال من الحكماء.

ويقول بعض السلف: سيروا إلى الله عُرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فإن انتظار الصحة بطالة.

إخواني في الله:

وللبطالة أنواع نود أن نوضحها لحضراتكم:

أولاً: بطالة إجبارية "بطالة المضطر" وهي تلك البطالة التي لا اختيار للإنسان فيها، وإنما تفرض عليه أو يبتلى بها، كما يبتلى بكافة مصائب الدهر. فقد يكون السبب عدم تعلم الإنسان مهنة في الصغر، أو تعلم مهنة ثم كسد سوقها لتغير البيئة أو تطور الزمن. لذا فإن المضطر الذي لا حيلة له في إيجاد العمل مع رغبته فيه وقدرته عليه، ينبغي أن تتكفل الدولة بإيجاد العمل له.

ثانياً: بطالة اختيارية "بطالة الكسولى" وهي بطالة من يقدر على العمل، ولكنهم يجنحون إلى القعود، ويستمرءون الراحة، ويؤثرون أن

(١) نقلاً عن كتاب كيف عالج الإسلام البطالة د. زيد بن محمد الرماني (هدية مجلة الأزهر).
(٢) ينظر كشف الخفاء للعجلوني.

يعيشوا عالة على غيرهم. والإسلام يذم هؤلاء ولا يرضى عن مسلكهم، وهذه البطالة يأثم بسببها الأفراد، ويحاسبون عليها يوم القيامة، كما أن هؤلاء لا حظ لهم في الزكاة، حيث أن منح الزكاة لأمثال هؤلاء يزيد من البطالة، ويعطل القدرات الإنتاجية.

قال الماوردي رحمه الله: وإذا تعرض للمسألة ذو جَلد وقوة على العمل زجره وأمره أن يتعرض للاحتراف بعمله.

ثالثاً: بطالة تعبدية " التواكل ": هي تلك البطالة التي دفع إليها تصور معين لمبادئ الدين، أي أن يفهم الإنسان أن بعض مبادئ الدين تستدعي ترك العمل، وبالتالي فلا يعمل.

ولقد ذم الإسلام هذه البطالة أيضاً، لما دخل النبي ﷺ المسجد ذات مرة فوجد رجلاً جالساً في المسجد وعلم النبي ﷺ أنه لا يعمل، فسأله النبي: «**مَن ينفق عليك؟**» قال: أخي. قال: «**أخوك أفضل منك**».

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يسأل أهل اليمن: مَن أنتم؟ قالوا: متوكلون. قال: كذبتم، ما أنتم متوكلون. إنما التوكل رجل ألقى حبة في الأرض وتوكل على الله.

إخوة الإسلام:

ولقد واجهت الدولة الإسلامية هذه البطالة، كما يلي:

أولاً: مواجهة أدبية:

وذلك بترسيخ قيمة اجتماعية: هي احتقار المجتمع والدولة للعاطل بإرادته. يقول عمر بن الخطاب ﷺ: إني لأرى الرجل يعجبني فأقول: له حرفة؟ فإن قالوا: لا. سقط من عيني [1].

ثانياً: أوامر ملزمة:

وذلك بان تأمر الدولة الأفراد بالعمل، يقول عمر ﷺ: يا معشر الفقراء، ارفعوا رؤوسكم واتجروا، فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات،

(١) كنز العمال برقم (٩٨٥٨) ج٤.

ولا تكونوا عيالاً على المسلمين [١].

ثالثاً: إجراءات عملية:

منها قطع المعونة والمساعدة عن كل من يقدر على العمل ولا يعمل. فعندما وجد الفاروق ﷺ سائلاً يحترف السؤال، ومعه مخلاه فيها طعام أخذها منه وطرحها لإبل الصدقة، ونهره [٢].

إخوة الإسلام:

ويمكن أن نوجز أسباب البطالة فيما يلي:

١ - عدم وجود فرص العمل.

٢ - كساد في الأسواق.

٣ - نقص في المعرفة والخبرة.

٤ - ضعف التنسيق بين سياسات التعليم وسياسات التوظيف.

٥ - استخدام الربا.

٦ - كنز المال وحبسه عن الاستثمار.

٧ - عدم الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية.

* ولابد أن نعلم - إخواني في الله - أن للبطالة آثار خطيرة على الفرد والمجتمع منها:

١ - تفقد الإنسان الدخل.

٢ - يعيش الإنسان في فراغ.

٣ - ينقم العاطل على غيره ويحسده ويحقد عليه ويتربص به الدوائر.

٤ - يواجه الجميع حالة من التوتر والقلق، مما يؤدي إلى تعطيل طاقات قادرة على الإنتاج، فيؤدي ذلك إلى زيادة عالم الجريمة.

إخوة الإسلام:

إن دين الإسلام هو الدين الحق، يُصلح كل زمان ومكان، ولا نقول

(١) ابن الجوزي في " مناقب عمر ".
(٢) الإسلام والتنمية الاقتصادية.

obeikandl.com

يصلح لكل زمان ومكان، ففي هذا الدين حل لجميع المشكلات، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه[١].

كيف عالج الإسلام مشكلة البطالة؟

لقد عالج الإسلام مشكلة البطالة من خلال الوسائل التالية:

أولاً: سياسة تشغيل الخريجين " الحث على العمل " :

أمام التزايد السكاني التزمت الدولة منذ أوائل الستينات بتعيين الخريجين من الجامعات والمدارس بأنواعها، وكان الهدف هو التخفيف من ظاهرة البطالة، إلا أن هذه السياسة تسببت في بعض الظواهر السلبية منها: [٢].

١ - تزايد معدل البطالة المقنعة للعاملين بأجهزة ومؤسسات الدولة ومن ثم انخفاض إنتاجهم.

٢ - أدى تزايد أعداد خريجي الجامعات، وعجز الدولة عن التوسع في أنشطتها إلى ظهور البطالة بين الخريجين، فانتظروا في طابور البطالة ما بين ٥ إلى ٦ سنوات وذلك في منتصف الثمانينات من القرن الماضي. وفي السنوات الأخيرة يتم تعيين الأعداد القليلة، فتفاقمت مشكلة البطالة جداً.

ولقد كان من سياسة النبي ﷺ أن يأمر العاطلين بالعمل ويرشدهم إلى عمل محدد يتلاءم مع قدراتهم ومواهبهم، ومتابعة العاطلين بعد توجيههم إلى عمل محدد كي يتعرف على مصير ما دبر لهم، وتعديل أمرهم.

يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلين أتيا رسول الله ﷺ، فسألاه. فقال: «**اذهبا إلى هذه الشعوب فاحتطبا فبيعاه**»، ثم جاءا فباعا، فأصابا طعاماً، ثم ذهبا فاحتطبا أيضاً فجاءا، فلم يزالا حتى ابتاعا ثوبين، ثم ابتاعا حمارين. فقالا: قد بارك الله لنا في أمر رسول الله ﷺ [٣].

---

(١) كيف عالج الإسلام البطالة.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام.

(٣) رواه البزار في كتاب مجمع الزوائد تحت رقم (٤٥١٢)، وفيه بشر بن حرب وفيه كلام وقد وثق.

ثانياً: تحريم الربا وفرض الزكاة:

من أوضح صور الربا: حصول رؤوس الأموال على عائد ثابت لقاء أقراضها وإيداعها البنوك، بصرف النظر عما تحققه من عائد وخسارة وركون الأفراد لما تولده مدخراتهم، مما يؤدي إلى الانفصال بين الاقتصاد العيني والاقتصاد المالي. حيث يتولد المال دون إضافة حقيقية للنشاط الاقتصادي.

فالربا يؤثر تأثيراً سلبياً على الاستثمار والإنتاج نظراً لأخذ القرض بفائدة، وارتفاع سعر الفائدة على القروض، مما يضطر معه المستثمرون إلى تأجيل عمليات التطوير.

والمرابون يشكلون طبقة طفيلية على المجتمع، وعند حصول الفرد المحتاج على قرض ليستخدمه في الإنتاج، فإن المرابي سيمسك أمواله عن الإقراض وقت الحاجة.

يقول الإمام الفخر الرازي [1]: إن الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدراهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الزيادة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب، وذلك يؤدي إلى انقطاع منافع الخلق والمصالح المرتبطة بالحرف، وفي ذلك يقول ربنا: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ}[2].

حرم الإسلام الربا، وجاء بالزكاة وجعلها ركناً من أركان الإسلام قال تعالى: {خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} [3]. والزكاة تعالج مشكلة البطالة في إقامة المشروعات، وتعتبر مصدراً رئيسياً للتمويل وهذه المشروعات يحتاج إليها الفقراء والمساكين، إلى غير ذلك مما سيتضح بعد.

ثالثاً: النهي عن كنز المال:

(١) مفاتيح الغيب: نقلاً عن تربية الأولاد.
(٢) سورة آل عمران الآية (١٣٠).
(٣) سورة التوبة الآية (١٠٣).

إخوة الإسلام:

لقد نهى الإسلام عن كنز المال، وذلك لأن كنز المال وحبسه عن الاستثمار والإنتاج من أسباب مشكلة البطالة، لذلك نهى الإسلام عن الاكتناز، حتى يمكن استثمار المال في إقامة المشروعات، قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (١).

ومعنى الكنز في أصل اللغة هو: جمع المال وخزنه أو دفنه. وبهذا تظهر العلاقة بين الاكتناز والنشاط الاقتصادي. وهذه دعوة إلى ضرورة استثمار الأموال وعدم حبسها وكنزها.

جاء الإسلام فألزم صاحب رأس المال بالعمل على استثمار أمواله وتنميته في المجالات المشروعة، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**من ولي يتيماً له مال، فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة**» (٢).

وفي ذلك تتجمع عدة فوائد منها: ينتفع الفرد والمجتمع، وتتحقق الزيادة في حق صاحب المال، ويفتح باب العمل للعاطلين.

رابعاً: الدعوة إلى الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية:

فإن تعطيل الموارد الطبيعية ضرر كبير وخسارة فادحة للإنسان، ولذلك فقد خلق الله الكون وما فيه من أجل خدمة الإنسان.

قال تعالى: {لَهُۥ مَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ }(٣) والإنسان مطالب بعدم الإسراف في أي شيء مهما كان كثيراً، حتى ولو كان على نهر جار كما أخبر النبي ﷺ سعداً بهذا الأمر. وذلك لأن سوء استخدام هذه الموارد يؤدي إلى انخفاض المستوى الاقتصادي.

خامساً: دور تشريع الميراث:

إخوة الإسلام:

---

(١) سورة التوبة الآية (٣٤).
(٢) رواه الترمذي (٦٤١)، قال الألباني: ضعيف برقم (٢١٧٩) في ضعيف الجامع.
(٣) سورة طه الآية (٦).

لو كان الأمر أن المال خاص بالإنسان وحده دون ورثته من بعده، ما كان هناك حافز على الاحتفاظ بأمواله والعمل على تنميتها، والاستزادة منها. ولذا كان انتقال المال بالوراثة إلى الورثة أمراً تفرضه النظم الاقتصادية والاجتماعية.

والمال في الغالب يعود على عدد من الورثة ويستخدم في أمر رشيد، ويحارب تضخم الثروات في أيد واحدة، ولولا ذلك ما سعى صاحب المال في تنميته.

سادساً: دور الوقف في حل مشكلة البطالة:

الوقف: هو حبس شيء معلوم بصفة معلومة، وهو حبس العين على مالك الوقف والتصدق بالمنفعة، وإذا استثمرت أموال الوقف أدى ذلك لإيجاد مشروعات اقتصادية إنتاجية، وكذلك بتقديم القروض وتيسير الحصول عليها لمن لا يستطيعون إيجاد الأدوات والآلات الخاصة بإنشاء صناديق وقفية يُنفق من ريعها على استصلاح واستزراع الصحراء، وهذا ما يسمى بإحياء الأرض الموات.

والوقف من سنة النبي ﷺ فهو أول من نادى به بعد هجرته إلى المدينة حين وجد بئراً يملكها يهودي، ويبيع ماءها للمسلمين مستغلاً ندرة الماء، فاشتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه فجعله وقفاً للمسلمين [1].

سابعاً: إحياء الأرض الموات:

إخوة الإيمان والإسلام:

وهي الأرض التي لا مالك لها وليس بها ماء ولا عمارة، ولا ينتفع بها. والإحياء يكون بطريق التصنيع أو التعدين أو الطاقة من أقوى أعمدة الحضارات ومما يوفر كثيراً من فرص العمل، ويعالج مشكلة البطالة قال تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ } [2].

وقد ورد أن الحجاج بن يوسف الثقفي كلف عامله بالبصرة بشق نهير يصل به الماء إلى أرض موات، فشكا له العامل صعوبة الحفر في

(١) كيف عالج الإسلام البطالة.
(٢) سورة هود الآية (٦١).

الصخر، وضآلة ما يحققه من تقدم في الحفر وشق النهر، فأجابه الحجاج بقوله: إن استطاع العامل أن يحفر من الصخر قدر طعامه فامض في الحفر.

وهكذا بعزيمة كهذه يشق النهر وتحيا الأرض، وتحل مشكلة اجتماعية.

ثامناً: تشجيع هجرة من ضاقت بهم فرص العمل:

الإسلام لا يعترف بالحدود السياسية التي تفصل بين الدول الإسلامية بعضها عن بعض، قال تعالى:{إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾} (١). ولذا حث الإسلام على الهجرة.

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا} (٢).

والسعة: هي الرزق، ومعناها: الانتقال من العيلة إلى الغنى.

ويقول ﷺ: «**سافروا تستغنوا**» (٣).

فالإسلام نادى بالتغرب من أجل القضاء على البطالة. ولذا فإننا نوصي بالعودة إلى الشريعة الإسلامية السمحاء وكتاب الله والفكر الإسلامي. ففي الإسلام حل لجميع مشاكلنا، فهيا نطبق شرع الله حتى نسعد في الدنيا والآخرة (٤).

نسأل الله أن ييسر لنا أرزاقنا، وأن يبارك لنا فيما عندنا اللهم آمين.

* * *

(١) سورة الأنبياء الآية (٩٢).
(٢) سورة النساء الآية (٩٧).
(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٨٣١٢)، قال الألباني: ضعيف في كتاب ضعيف الترغيب والترهيب برقم (٥٧٣).
(٤) تربية الأولاد في الإسلام.

الظروف المواكبة للشيخوخة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

أما بعد،

إخوة الإسلام:

إذا كانت التربية الإيمانية سليمة من الصغر لأثمرت نتائجها في حال الكبر من الرعاية الطيبة والعناية الفائقة بكبار السن حينما يتقدم بهم العمر. وهذه العناية إن وجدت فإنما تبرهن على تربية سليمة، وقوة إيمان وصدق عزيمة؛ لأن عقوق الآباء والأمهات لهو من أكبر المنكرات التي يأباها ذوو القلوب الرحيمة. وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن جعل الإنسان يمر بمراحل متعددة في رحلته الدنيوية فيبدأ وليداً ضعيفاً ثم شابا قوياً وأخيراً شيخاً ضعيفاً.

وكان من دعائه ﷺ كما في صحيح البخاري: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم**» ونقول:

أولاً: من هو كبير السن؟

* جاء في اللسان استعمال كلمة المسن للدلالة على الرجل الكبير، فيقال: أسنّ الرجل: كبُر وكبرت سنّه.

وتستخدم العرب ألفاظاً مرادفة للمسن فتقول: شيخاً، والشيخ: هو الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب وقيل من الخمسين... إلى الثمانين.

الهرم: وهو أقصى الكبر وكذلك كهل.

* ويمكن ترتيب هذه المراحل بعد مرحلة المراهقة على النحو التالي: [شاب ثم كهل ثم شيخ ثم هَرِم]. فآخر هذه المراحل مرحلة الهرم. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال**

سبعاً...» إلى أن قال: «أو هرما مفنداً أو موتاً مجهزا» [١].

* أما عن المتغيرات التي تصاحب مرحلة كبر السن. فإنه يصاحب مرحلة الكبر لدى الإنسان ضعف عام في كل شيء قال تعالى: {ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥٤﴾} [٢].

فالإنسان يمر بثلاث مراحل رئيسية:

ضعف، ثم قوة، ثم ضعف، ولكن هذا الضعف نسبي بين البشر عموماً، والمؤمنين خصوصاً، فمن ذلك تظهر بعض التغيرات المرئية على جسم الإنسان في حالة تقدمه في السن مثل: [تجعد الجلد وجفافه وثقل في السمع وضعف في البصر والشم والحواس بشكل عام وبطء الحركة وترهل بعض العضلات إلخ].

أما التغيرات الجسمية المرئية:

ضعف في العظام وانخفاض لحرارة الجسم نتيجة لقلة الحركة إضافة لارتفاع نسبة الإصابة ببعض الأمراض، مثل ارتفاع ضغط الدم والسكر والقبض المزمن والضعف الجنسي.

أما عن التغيرات الاجتماعية لدى كبار السن:

تقلص العلاقات الاجتماعية إذ تقتصر على الأصدقاء القدامى نظراً لصعوبة تنقلاته بسبب التغيرات الجسمية كما يظهر عليه الفراغ والعزلة.

أما عن التغيرات النفسية والعقلية:

فمن أبرز هذه التغيرات: بروز القلق والاكتئاب والملل كمظهر جديد في حياة المسن، كما يصاحب ذلك توهم المرض وكثرة الشكوى والحساسية الزائدة والإعجاب بالماضي والعناد والشك وعدم الثقة في الآخرين كما تضعف ذاكرته وبخاصة المعلومات الحديثة، إضافة إلى

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٦) قال الألباني: ضعيف، انظر الحديث رقم (٢٣١٥) في ضعيف الجامع.
(٢) سورة الروم آية (٥٥).

ظهور خرف الشيخوخة، وتكرار الحديث مرات ومرات وعدم التعرف على الأبناء والأقارب [١].

*** موقف الإسلام من التغيرات المصاحبة لذلك:**

مما ذكر من التغيرات تتضح عظمة القرآن ودقة تصويره للحالة التي قد يعيشها الإنسان في هذه المرحلة عندما وصفها الله عز وجل بأنها عودة إلى أرذل العمر في قوله تعالى: { وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ } [٢].

وأرذل العمر كما ذكر المفسرون:

هو أخسه وأدونه وآخره الذي تضعف فيه القوى وتفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق والفكر، وخص الله عز وجل بالرذيلة لأنه حاله لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد.

إلا أن من المفسرين من ذكر أن بعض المؤمنين يستثنون في حالة الرد إلى أرذل العمر قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: إن هذا لا يكون للمؤمن يعني الخرف، والرد إلى أرذل العمر لأن المؤمن لا ينزع عنه علمه.

قال ابن عباس ﷺ: ليس هذا في المسلمين، لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة [٣].

* قال الشنقيطي في أضواء البيان: إن العلماء العاملين لا ينالهم هذا الخرف وضياع العلم والعقل من شدة الكبر؛ لأن المؤمن مهما طال عمره فهو في طاعة وفي ذكر الله فهو كامل العقل. وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ القرآن الكريم المداوم على تلاوته لا يصاب بالخرف.

* قال محمد بن كعب القرظي كما في البداية والنهاية [٤]:

من قرأن القرآن مُتع بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة.

---

(١) رعاية المسنين في الإسلام.
(٢) النحل (٧٠).
(٣) رعاية المسنين في الإسلام تصرف يسير.
(٤) البداية والنهاية.

أما عن حفظ الله لقوة المسلم عند كبره:

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: [احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة].

إن من حفظ الله في صباه وقوته، حفظه الله تعالى في حال كبره وضعف قوته ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله وبكل حال: فغالب المسلمين لا يصلون إلى هذه المرحلة التي تحدث فيها هذه التغيرات، وهذا التدهور الصحي والبدني والنفسي وذلك أن أعمار المسلمين غالباً بين الستين والسبعين.

كما روى الحاكم في مستدركه أن النبي ﷺ قال: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك**» [(١)].

* ويمكننا القول: بأن المسلم المؤمن الحافظ لحدود الله، والحافظ للقرآن لا تصيبه المتغيرات التي تحدث للإنسان في مرحلة الشيخوخة وبخاصة التغيرات الجسمية والعقلية والنفسية، وإن حدثت فهي أقل مما يصيب الآخرين، أو تتأخر فلا تحدث إلا في آخر أيامه.

وهذا ما كان يفعله ﷺ قبل القيام من مجلسه فقد روي عن عمر رضي الله عنه وأنه كان من دعائه ﷺ: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا**» [(٢)].

الوارث: هو الباقي والمراد إلى وقت الكبر.

والشاهد هنا: أنه لو لم تكن إمكانية إبقائها والتمتع بها إلى آخر لحظة من العمر ممكنة لما دعا الرسول ﷺ بهذه الدعوات وشرع لأمته أن تدعوا به.

أما عن أسس رعاية كبار السن في الإسلام:

تقوم رعاية كبار السن في الإسلام على أسس عدة تنطلق منها أوجه

(١) سنن البيهقي الكبرى برقم (٦٣١٤)، وعند ابن ماجة برقم (٤٢٣٦)، قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع برقم (١٠٧٣).
(٢) الترمذي (٣٥٠٢) قال الشيخ الألباني: حسن، انظر صحيح الجامع برقم (١٢٦٨).

وأبرز هذه الأسس ما يلي[1]:

١ - الإنسان مخلوق يكرم، ومكانته محترمة في الإسلام.

لقد أسجد الله ملائكته حين خلقه. قال تعالى في محكم كتابه: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾} [2].

فهو سجود إكرام وإعظام واحترام. فالمسن له منزلته ومكانته في الإسلام بشكل عام، إلى أنه مع ذلك له منزلة خاصة.

* المجتمع المسلم مجتمع متراحم ومتماسك قال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ } [3] وفي سورة البلد يقول تعالى: {ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾}.

وقال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[4].

* وجزاء الإحسان في الإسلام الإحسان: قال تعالى: { هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ } [5].

أي هل جزاء الإحسان أي جزاء من أحسن في عبادة الخالق ونفع عبيده إلا أن يحسن خالقه إليه بالثواب الجزيل والفوز الكبير والعيش السليم.

وفي عارضة الأحوذي في شرح الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه**» [6].

فهذا الحديث يبين: أن إحسان الشاب للشيخ يكون سبباً لأن يقيض الله

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام.
(٢) سورة ص (٧١، ٧٢).
(٣) سورة الفتح (٢٩).
(٤) البخاري (٥٦٦٥) بصيغة: ترى المؤمنين في تراحمهم.
(٥) الرحمن الآية (٦٠).
(٦) الترمذي (٢٠٢٢) قال الشيخ الألباني: ضعيف برقم (٥٠١٢) في ضعيف الجامع.

من يكرمه عند كبره.

* كبير السن المؤمن لـه مكانته عند الله، ولا يزاد في عمره إلا كان لـه خيرا جاءت الأحاديث النبوية تبين أن المؤمن لا يزاد في عمره إلا أن يكون خيراً لـه. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمن أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً**» (١).

*** توقير الكبير والتشبيه به سمة من سمات المجتمع المسلم:**

يتصف المجتمع المسلم بصفات كريمة منها: توقير الكبير في السن وقد حثت الأحاديث النبوية على إكرام الكبير وتوقيره، روى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم**» (٢).

وذلك بما ألبسه الله من ثياب الوقار بشيبه، إذ أنه قد شاب في الإسلام(٣).

وبعد.. إخوة الإسلام..

فهذه أبرز الأسس التي تنطلق فيها جميع أوجه الرعاية المقدّمة لكبار السن في الإسلام. فهذه الرعاية ترتكز على أسس متينة وليست وليدة لحظة عابرة من العاطفة أو الرغبة (٤).

قال الشاعر:

زعمتني شيخاً ولست بشيخ ::: إنما الشيخ من يدب دبيبا
عيرتني بالشيب وهو وقار ::: ليتها عيرتني بما هو عار

فاللهم أدبنا بأدب الإسلام اللهم آمين

* * *

(١) مسلم ١٣ - (٢٦٨٢).
(٢) أبو داود (٤٨٤٣) حديث حسن برقم (٢١٩٩)، انظر صحيح الجامع للألباني.
(٣) منهج السنة فى تربية الإنسان.
(٤) تربية الأولاد فى الإسلام.

حق الكبير في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبعد..

تمهيد:

كما أن الإسلام ضمن حق الرعاية لصغار السن كما أسلفنا، فقد ضمن أيضاً لكبير السن مكانته المتميزة في المجتمع المسلم فهو يتعامل معه بكل توقير واحترام. ويظهر ذلك التوقير والاحترام في العديد من الممارسات العملية في حياة المجتمع المسلم، وجميع هذه الممارسات لها أصل شرعي بل فيها حث وتوجيه نبوي فضلاً عن ممارساته ﷺ مع المسنين وتوجيه أصحابه نحو العناية بالمسنين واحترامهم. ومن ذلك يتضح أن لكبار السن حق في الإسلام فما هو حقهم في الإسلام؟

١ - حق الكبار في المجتمع المسلم والإسلام:

إنزال الكبير منزلته اللائقة به: كأن يستشار في الأمور، ويقدَّم في المجلس، ويبدأ به بالضيافة من أجل إكرامه. فقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أنزلوا الناس منازلهم**» [(١)]. وفي رواية: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**» [(٢)].

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن شهاب بن عباد أنه سمع بعض وفد عبد قيس وهم يقولون: قدمنا على رسول الله ﷺ فاشتد فرحهم، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا. فقعدنا فرحب بنا النبي ﷺ ودعانا، ثم نظر إلينا:

فقال: «**من سيدكم وزعيمكم؟**» فأشرنا جميعاً إلى المنذر بن عائذ، فلما دنا منه المنذر أوسع القوم له حتى انتهى إلى النبي ﷺ فقعد عن يمين رسول الله ﷺ فرحب به وألطفه وسأله عن بلادهم [(٣)].

---

(١) أبو داود (٤٨٤٢) ضعيف انظر حديث رقم (١٣٤٤) في ضعيف الجامع.
(٢) الترمذي (١٩١٩) قال الألباني (صحيح) حديث رقم (٥٤٤٥) في صحيح الجامع.
(٣) مسند أحمد بن حنبل (١٥٥٩٧) قال الشيخ الألباني: ضعيف برقم (١٥٤١) ضعيف

٢- البدء بالكبير في الأمور كلها:

كأن يتقدم الكبير على الصغير في صلاة الجماعة، وفي التحدث إلى الناس، وفي الأخذ والعطاء عند التعامل ونبدأه بالتحية، وفي الطعام والشراب.

عن ابن مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «**استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولوا الأحلام والنُّهى [هم الرجال البالغون] ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» (١).

وعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أراني في المنام أتسوَّك بسواك، فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر [منهما] فقيل لي: كبِّر. فدفعته إلى الأكبر منهما**» (٢).

٣- الترهيب من استخفاف الصغير من الكبير:

كأن يهزأ به، ويسخر منه، ويوجه كلاماً سيئا إليه، ويسيء الأدب في حضرته، وينهر في وجهه، ويتعالى عليه ويقلل من شأنه، روى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة قال: قال ﷺ: «**ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط**» (٣).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيّض الله [أي قدَّر الله] له من يكرمه عند سنِّه**» (٤).

٤- القيام للقادم (٥):

القيام للقادم كالضيف أو المسافر أو العالم الكبير... أدب اجتماعي نبيل يجب أن يؤمر الأولاد به ويتخلقون به.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

الترغيب والترهيب.

(١) مسلم ١٢٢ - (٤٣٢).

(٢) مسلم ١٩ - (٢٢٧١).

(٣) الطبراني (٧٨١٩) ضعيف برقم ٢٦٠١ في ضعيف الجامع.

(٤) الترمذي (٢٠٢٢) قال الألباني ضعيف برقم (٥٠١٢) في ضعيف الجامع.

(٥) تربية الأولاد في الإسلام.

قالت: وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها وقبلته وأجلسته في مجلسها[1].

روى الشيخان أن سعد بن معاذ لما دنا إلى المسجد قال النبي ﷺ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم أو خيْركم**» [2].

* ومن هذه الأحاديث الصحيحة يتضح جواز القيام للقادم، إذا كان من أهل العلم والفضل في المواسم والمناسبات. أما ما ثبت عنه ﷺ عن القيام في النهي فمحمول على من قصد القيام لذاته، واستشرفه، وتطلع إليه ومحمول كذلك على تقليد صفة خاصة من القيام وفيها معنى الكبر والتعظيم في تعظيم بعضهم بعضا، كأن يقعد المعظم مكرما مبجلاً والناس حوله واقفون.

قال ﷺ: «**من أحب أن يتمثل الناس له قياماً فليتبوأ مقعده من النار**».

وعلى هذا فالقيام المتمثل فيه الأدب والاحترام المتبادل بين جميع الأطراف لا بأس به.

٥ - تقبيل يد الكبير:

ومن الأداب الاجتماعية التي ينبغي أن يعتادها الولد ويحرص المربي على تلقينها والتخلق بها: أدب تقبيل يد الكبير لما لهذا الأدب الاجتماعي من أثر كبير من تعليم الولد التواضع والاحترام وخفض الجناح...

ومما يدل على هذا حديث الرسول ﷺ وعمل الصحابة واجتهاد الأئمة لما أخرج البخاري في الأدب المفرد عن الواذع بن عامر قال: قدمنا فقيل: ذلك رسول الله فأخذنا بيده ورجليه نقبلها.

وقد أخرج ابن عساكر عن أبي عمار أن زيد بن ثابت قربت له دابة ليركبها، فأخذ ابن عباس بركابها، فقال زيد: تنح يا بن عم رسول الله. فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا وعلمائنا. فقال زيد أرني يدك. فأخرج

(١) البخاري وأبو داود، الأدب المفرد برقم (٩٧١)، سنن أبي داود برقم (٥٢١٧)، قال الشيخ الألباني صحيح مشكاة المصابيح برقم ٤٦٨٩ - ١٣.
(٢) البخاري (٣٨٩٥)، مسلم ٦٤ - (١٧٦٨).

يده فقبلها. فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا [١].

وجاء عند الحافظ أبو بكر المقري عن أبى مالك الأشجعي قال: قلت لابن أبي أوفى: ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله ﷺ فناولنيها فقبلتها.

*** موقف:**

الابن من مجموعة الأصدقاء يكون فيها الأب فمن المستحب تقبيل يد الأب لتمييزه عن الآخرين. فهذا غيض من فيض مما ثبت فى تقبيل يد أهل العلم والفضل. فما على المربين إلا أن يعودوا أطفالهم على هذا الخلق الكريم والأدب الرفيع، حتى ينشئوا على التواضع الجم، والأخلاق العالية الندية في احترامهم الكبار، وتوقيرهم العلماء، وتعاملهم مع الآخرين. ولكن على المربين أن ينتبهوا في تخليق الولد على القيام والتقبيل إلى أمرين هامين:

الأول: ألا يغالوا في ذلك لما للمغالاة من تغاضٍ عن المساوئ ومجافاة للحق، وانتكاس لحقيقة الاحترام، وتحطيم لشخصية الولد النفسية.

الثاني: ألا يزيدوا عن الحد الذي أمر به الشرع الإسلامي كالانحناء أثناء القيام أو الركوع أثناء التقبيل، لأن هذه الأمور ربما تؤدي إلى تدهور الحالة النفسية عند فاعلها.

*** أما عن حقه في الإسلام فمنها:**

تكريمه وتوقيره: أي الاحترام والإجلال والإعظام، نرى كثيرا من الناس في زماننا هذا ينظرون إلى أهل الشيب والشيبة والكبر نظرة ليس فيها الاحترام، بل فيها الامتهان والازدراء، بينما نرى أن الإسلام عد لهؤلاء فضائل وامتدح هذا الشيب.

كما روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**» [٢].

(١) تربية الأولاد في الإسلام.
(٢) رعاية المسنين في الإسلام.

يقول الشاعر الحكيم:

عيرتني بالشيب وهو وقار ::: ليتها عيرتني بما هو عار

وعند الترمذي وأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه ﷺ: «**نهى عن نتف الشيب وقال إنه نور المسلم**».

والمعنى: وقوله: "نهى عن نتف الشيب" أي الشعر الأبيض من اللحية أو الرأس قال: "إنه نور المسلم" الإضافة للتخصيص أي وقاره المانع من الغرور بسبب انكسار النفس عن الشهوات والفتور المؤدي إلى نور الأعمال الصالحة فيصير نوراً في قبره ويسعى بين يديه في ظلمات حشره.

فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**الشيب نور في وجه المسلم فمن شاء فلينتف نوره**»[1].

وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كتب له بها حسنة ورفع بها درجة أو حط عنه بها خطيئة**»[2].

إخوة الإسلام:

أما عن صبغ الشعر الأبيض بالسواد: -

فقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: أُتي بأبي قحافة يوم الفتح ولحيته ورأسه كالثغامة (شجرة تنبت في أعلى الجبل شديدة البياض) - بياضا فقال ﷺ: «**غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد**».

وعند أبي داود والنسائي أن النبي ﷺ قال: «**يكون قوم في آخر الزمان يخصبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يجدون ريح الجنة**» أي مع السابقين.

ولا مانع من استخدام نبات الورس في ذلك وهو نبات أصفر يشبه الحناء.

نسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وأن يثبت أقدامنا وأن ينصرنا على القوم الكافرين، اللهم آمين

* * *

(١) البيهقي (٦٣٨٨) في كتاب شعب الإيمان، قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث صحيح برقم (١٢٤٤).

(٢) رواه البيهقي وابن عساكر (١٤٦٠٥) بنحوه، قال الشيخ الألباني صحيح، انظر حديث رقم (٥٧٦٠) في صحيح الجامع.

الحث على الطاعة والرحمة بالمسنين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبعد:

تمهيد:

لحرص السنة المطهرة والإسلام على حسن الخاتمة للإنسان حذرته من الوقوع فى المعاصى ، وذلك حتى يخرج من الدنيا فائزاً رابحاً مرضياً عنه، ولذا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية محذرة من ذلك ومن هذه الأمور:-

١ - التحذير من المعاصى والحث على الطاعة:

فعن أبى هريرة ﷺ قال ﷺ: «**ثلاثة لا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم: شيخ زانٍ، وملك كذّاب، وعائل مستكبر**»(١).

وسبب ذلك العقاب لكل من اقترف ذنباً فى الحديث السابق أنه التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه، وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده فأشبه إقدامه عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها؛ لأن الشباب أدعى للوقوع فى المعصية نظراً للحرارة الغريزية وقلة المعرفة وغلبة الشهوة، وضعف العقل وصغر السن (٢).

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة**» (٣).

والمعنى : أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول: لو مُدّ لى فى الأجل، لفعلت ما أمرت به، وإذا لم يكن له عذر فى ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذى حصل عليه فلا ينبغى حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية وإنما كان الستون حداً لهذا؛ لأنها قريبة من المعترك وهو نهاية

(١) رواه مسلم رقم ١٧٢ - (١٠٧)، مسند أحمد برقم (١٠٢٣٢) والنسائي عن أبي هريرة، قال الألباني صحيح، حديث رقم (٣٠٦٩) في صحيح الجامع.
(٢) شرح النووي في صحيح مسلم بتصرف.
(٣) رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٦٠٥٦).

obeikandl.com

العمر، وهو سن الإنابة والخشوع وترقب المنية... وفيه أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل. ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك**»(١).

وقال بعض الحكماء " الأسنان أربعة " (٢):

سن الطفولة، ثم سن الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، وهى آخر الأسنان وغالب ما يكون ما بين الستين والسبعين "

فحينئذٍ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغى له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة وهذه هى مرحلة أرذل العمر، وهى التى لا يكون فيها صلاح لما فسد.

قال تعالى: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ}(٣).

قال ابن عباس: فى قوله تعالى: {وَجَاءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ}:

هو الشيب؛ فإنه يأتى فى سن الاكتهال، فهو علامة لمفارقة سن الصبا وجعل الستين غاية الإعذار. ففيه إعذار بعد إعذار الأول بالنبى عليه السلام والثانى بالشيب"(٤).

ولقد أعظم الله عز وجل أجر الشيخ المجاهد في سبيله فقال تعالي: {وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}(٥).

وفي هذه الآية يقول ابن عباس رضي الله عنه: خرج ضمرة بن جندب

---

(١) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة (٢٣٣١) قال الألباني صحيح، حديث رقم (١٠٧٣) في صحيح الجامع.
(٢) فتح الباري لابن حجر.
(٣) فاطر آية (٣٧).
(٤) القرطبي.
(٥) النساء آية رقم (١٠٠).

من بيته مهاجراً فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلي رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلي النبي ﷺ فنزلت هذه الآية " [1].

وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلدٍ لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه فله أن يهاجر فراراً بدينه.

وقد روي عمرو بن الحمق رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً عسله**»، فقيل: وما عسله؟ قال: «**يفتح له عملاً صالحاً بين يدى موته حتي يرضي عنه من حوله**» [2].

وروي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله**»، قال: **فكيف يستعمله؟ قال:** «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت**» [3].

الرحمة بالشيوخ فى الحرب:

أ - رعاية كبار السن فى الحروب من قبل الجيوش المسلمة:

لم يعرف العالم الحديث آداب الحرب إلا فى القرن الماضى فى حين جاء بها الإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ولم تظهر معاهدة رسمية فى آداب الحرب إلا فى عام ١٨٥٦ م والتى تسمى: "تصريح باريس البحرى" فأما هذه المعاهدة فكتبت ولم تطبق إلا إذا كانت مع الأقوياء وأما إذا كانت الحروب بين الأقوياء والضعفاء فلا حاجة للمعاهدات بل كل شىء مباح للقوى من تلك الشعوب غير الإسلامية.

وأما فى الإسلام:

فكانت هذه الآداب الحربية تطبق ابتداءً حتى ولو لم يكن هناك اتفاقات أو معاهدات، فها هى سرايا رسول الله ﷺ تنطلق يمنة ويسرة ناشرة الخير والنور، ولقد اشتملت وصاياه ﷺ وخلفائه من بعده إلى

(١) أسباب النزول للسيوطى.

(٢) رواه أحمد برقم (١٧٨١٩)، وابن حبان برقم (٣٤٢) من حديث عمرو بن الحمق، قال الألباني صحيح برقم (٣٠٧) في صحيح الجامع.

(٣) رواه الترمذى (٢١٤٢)، ومسند أحمد برقم (١٢٠٥٥) وصحيح ابن حبان برقم (٣٤١) من حديث أنس، قال الألباني صحيح برقم (٣٠٥) صحيح الجامع.

الجيوش على عدد من التوجيهات والوصايا، وشملت جوانب عدة منها: " العناية بالشيوخ وكبار السن والاهتمام بهم ".

ومن ذلك ما روى عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضى الله عنهما قال: " كان ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية دعا صاحبهم فأمره بتقوى الله وأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «**اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً**»[(١)].

ويتضح من نص الحديث أن ذلك كان ديدنه ﷺ فى كل غزوة ولم تكن محض صدفة أو مقولة يتيمة خرجت من فى رسول الله ﷺ، فاللفظ يدل على تكرار الفعل منه ﷺ.

ولقد اقتدى الخلفاء الراشدون بهدى رسول الله ﷺ فى عدم التعرض للمسنين فى الحرب وهذا ما أوصى به الصديق رضى الله عنه وهو يوصى أسامة بن زيد حين بعثه إلى الشام إنفاذاً لأمر رسول الله ﷺ.

وما وجدناه من حديث رسول الله ﷺ من آداب الحروب، وكذلك ما ورد من فعل الصحابة ووصاياهم وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه يدل على أن شرع الله هو الذى يطبق فى كل مجالات الحياة بما فيها الحروب، وهذا مالا نجده عند غير المسلمين وهو ما نراه فى حروبهم وخاصة ما نراه فى فلسطين وغيرها.

" رحمة الإسلام بالشيوخ فى رفع الحرب عنهم "

بعض الأحكام الفقهية الخاصة بهم فى هذا الشأن:

امتازت شريعة الإسلام باليسر والتخفيف على أتباعها كما حكى القرآن ذلك قال الله تعالى: {يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ }[(٢)].

ومن المعلوم أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ولئن كان هذا العموم للمسلمين فهو لكبار السن بشكل أخص، ومن هنا نجد أن الإسلام

(١) رواه الطبرانى من حديث سليمان بن بريدة بزيادة عن الحديث الذي بأعلى المعجم الأوسط (١٤٣١)، قال الألباني: صحيح حديث رقم (١٠٧٨) في صحيح الجامع.
(٢) البقرة آية رقم (١٨٥).

قد راعى فى أحكامه الضعف الذى يعيشه كبير السن ورتب على ذلك أحكاماً خاصة بهم تتصف باليسر والتجاوز، فنجد فى بعض العبادات لهم أحكام خاصة وفيما يلى نعرض لها بشكل موجز:

١- الترخيص لكبير السن فى إنابة من يحج عنه " لكبر سنه وعجزه " فعن ابن عباس رضى الله عنه قال: " جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوى على الراحلة فهل يقضى عنه أن أحج عنه؟ قال: «**نعم**» [١].

فهذه الرخصة خاصة بكبير السن دون الصغير.

٢- الرخصة له بالإفطار فى رمضان حين يعجز والإطعام عن كل يوم مسكينا قال تعالى: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} [٢].

قال ابن عباس رضى الله عنه قال: نزلت هذه الآية فى الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ثم ضعف له أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً " [٣].

الرخصة له فى الصلاة :

أمر النبى ﷺ الأئمة الذين يصلون بالناس أن يخففوا فى صلاتهم مراعاة لمن خلفهم من الضعفاء وكبار السن فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال ﷺ: «**إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطل ما شاء**» [٤].

وفى صحيح البخارى: ذكر بعض الأئمة أن " جلسة الاستراحة فى الصلاة " وهى الجلسة التى تكون بعد الفراغ من السجدة الثانية وقبل النهوض إلى الركعة الثانية والرابعة - ذكروا أنها خاصة بمن كبر سنه فهذا حكم خاص بكبار السن مراعاة لضعفهم وتخفيفاً عليهم وذلك بعدم

(١) رواه البخارى من حديث ابن عباس (١٤٤٢).
(٢) البقرة آية رقم (١٨٤).
(٣) تفسير ابن كثير.
(٤) رواه البخارى من حديث أبى هريرة (٦٧١).

القيام مباشرة للركعة، بل يأخذ حقه من الراحة ثم يقف ليتابع الإمام [١].

ولقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يفعلها بعد أن بدن جسمه وكبر سنه وكذلك فعل "مالك بن الحويرث" رضي الله عنه عندما صلى بأصحابه ليريهم صلاة النبى ﷺ وكان يجلس إذا رفع رأسه من السجود قبل أن ينهض فى الركعة الأولى [٢].

فاللهم فقهنا فى ديننا اللهم آمين.

* * *

(١) صحيح البخاري.
(٢) صحيح البخاري، نقلاً عن رعاية المسنين في الإسلام.

obeikandl.com

بـر الوالدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبعد:

تمهيد:

كما أوصى الإسلام الأباء بالأبناء خيراً على ما سبق بيانه، فإنه قد أوصى الأبناء بالآباء خيراً، فإنه لا ينكر فضلهم إلا كل منافق، ولا يقع فى عقوقهما إلا كل جاحد، حتى مع اختلاف الدين وذلك لتكون العلاقات الإنسانية أكثر ترابطاً وتراحماً لا تنتابها الشهوات، ولا تعصف بها الأهواء ولا الأبواء. ونلمح إلى جانب من هذه الحقوق فيما يلى:

أولاً: الإحسان إليهما:

لقد أوصى الله تعالى الأبناء بالإحسان إلى آبائهم فى غير ما موضع من الكتاب العزيز وقرن ذلك بتوحيد الله، والنهى عن الشرك، كما قرن شكره بشكرهما إذ الفضل مقدم إليهما أولاً. والإنسان لو تحمل أعباء حياتهما لتمنى موتهما. قال تعالى:{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا} [(١)].

السر فى اقترانهما: " أى: قرن بر الوالدين بتوحيده - عزوجل؛ " لأنه إذا أنكر السبب وهما الوالدين لأنكر السبب الرئيسى وهو الله، يقول ابن عباس: آيات ثلاث نزلت مقرونات بثلاث لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها:

الأولى:{أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ} [(٢)].

الثانية:{وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} [(٣)].

الثالثة:{أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ} [(٤)].

ثانياً: بر الوالدين:

والبر: اسم جامع لخصال الخير، وقد كان أنبياء الله ورسله القدوة

(١) الإسراء الآية (٢٣).
(٢) النساء الآية (٥٩).
(٣) البقرة الآية (٤٣).
(٤) لقمان الآية (١٤) نقلاً عن كتاب الكبائر بتصرف.

فى بر الآباء وتبعهم على ذلك الدَّرْب أهل الصلاح والفلاح لأنهم تربوا فى مدرسة النبى ﷺ.

قال تعالى عن يحيي: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾} (١).

وقال عن عيسى: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا } (٢).

* ولبر الوالدين أنواع كثيرة منها:

أولاً: لين القول لهما:

ويدخل ذلك فى عدم رفع الصوت فى خطابهما وعدم تسمية أى منهما باسمه يقول الله تعالى: { وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ } (٣).

ثانياً: توقيرهما:

فينبغى عدم النظر إليهما باستهزاء، وعدم المشى أمامهما، وعدم الجلوس قبلهما. وكما جاء عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه " أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ قال: أبى، فقال أبو هريرة: لا تسمه باسمه، ولا تمشى أمامه ولا تجلس قبله " (٤).

ثالثاً: الإنفاق عليهما عند الحاجة:

جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله: إن أبى يريد أن يجتاح مالى، فقال النبي ﷺ : «**أنت ومالك لأبيك**» (٥).

رابعاً: الدعاء لهما:

يدعو لهما بكل خير وأفضل الدعاء طلب الرحمة لهما من الله بأن يقول فى دعائه لهما ما حكاه القرآن الكريم: {وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (٦).

وقد جاء على لسان نبى الله نوح كما فى القرآن: {رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ} (١).

---

(١) مريم الآية (١٤).
(٢) مريم الآية (٣٢).
(٣) الإسراء الآية (٢٣).
(٤) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٤٤).
(٥)الكبائر للذهبي.
(٦) الإسراء الآية (٢٤).
(١) سورة نوح الآية (٢٨).

*** هذا هو القاضى إياس:**

لما ماتت أمه بكى عليها، فقيل له فى ذلك فقال: كان لى بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما.

*** على بن الحسين:**

كان من أبر الناس بأمه ومع هذا فقد كان لا يأكل معها فى صحفة فقيل له: إنك من أبر الناس بأمك ولا تأكل معها فى صحفة فقال: أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ما تسبق إليه عيناها فأكون قد عققتها [1].

خامساً: البعد عن عقوقهما:

فقد نهى الإسلام عن عقوق الوالدين وإلحاق الأذى بهما نفسياً كان ذلك الأذى أو معنوياً أو مادياً، قولاً كان أو فعلاً، فقد توعد الله العاقين بألا ينظر إليهم يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ: «**كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجل لصاحبه فى الحياة قبل الممات**» [2].

* قال كعب الأحبار كما فى الكبائر للذهبى: " إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعذبه عذاباً شديداً، ويؤخر من عمر العبد إذا كان باراً لوالديه ليزيد براً وخيراً ".

* وأوحى الله إلى موسى: يا موسى، أن وقر والديك، فإن من وقر والديه مددت له فى عمره، وجعلت له ولداً يوقره ومن لم يوقر والديه قصرت له فى عمره وجعلت له ولداً يعقه فالجزاء من جنس العمل.

* قال أبو بكر بن مريم: قرأت فى التوراة أنه من يضرب آباه يقتل.

* أما عن العذاب الأخروى، فقد روى أن العاق لوالديه ينزل عليه جمر من نار بعدد كل قطر نزل من السماء إلى الأرض ثم يضمه القبر ضمة حتى تختلف أضلاعه.

* ورأى النبى ﷺ ليلة المعراج رؤية: قال منها: «**رأيت ليلة أسرى بى**

---

(١)الأسرة المسلمة أسس ومبادئ.

(٢) المستدرك برقم (٧٢٦٣)، شعب الإيمان للبيهقي برقم (٧٨٩٠) من حديث أبى بكر، قال الألباني: ضعيف، حديث رقم (٤٢١٣) في ضعيف الجامع.

أناس فى النار معلقين على جذوع من نار فقلت: من هؤلاء يا أخى يا جبريل؟ قال: هؤلاء هم الذين يعقون آباءهم وأمهاتهم» [١].

قصة أصحاب الأعراف:

سئل ابن عباس عن الأعراف فقال: هو جسر بين الجنة والنار، أما حال الناس الذين عليه فهم قد خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم، واستشهدوا فى سبيل الله فمنعوا من دخول النار بسبب استشهادهم فى سبيل الله، ومنعوا من دخول الجنة بسبب خروجهم بغير إذن آبائهم وقال الله تعالى في حقهم: {وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ } " وجاء لرسول الله ﷺ رجل وقال يا رسول الله: أرأيت لو صمت وصليت وزكيت وحججت البيت فمالى من الثواب؟ قال: «من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه» [٢]

وجاء رجل لرسول الله ﷺ وقال: أى الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها». قلت: ثم أى؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أى؟ قال: «الجهاد» [٣].

* اختلاف الدين حتى ولو لم يكن الآباء مسلمين يجب على الأبناء معاملتهم بالمعروف:

* دعوة الخليل إبراهيم:

فقد دعى الخليل والده آزر إلى عبادة الله والرفق به وسيدعو له كما فى سورة مريم قال الله تعالى: {وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾} [٤].

* موقف أسماء بنت أبى بكر:

قالت: يا رسول الله، قدمت أمى على وهى مشركة أفأصل أمى؟ قال: «نعم صلى أمك».

(١) الكبائر للذهبى.
(٢) الكبائر.
(٣) البخاري (٧٠٩٦)، ومسلم ١٣٧ - (٨٥) عن أبي مسعود.
(٤) سورة مريم الآيات (٤٢- ٤٧).

* قال الله تعالى:{ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا} [١].

* موقفان مختلفان:

* صورة يحث الإسلام عليها:

قال تعالى:{وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنٗاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ } [٢].

* صورة ينفر الإسلام منها:

قال تعالى{ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧} [٣].

فهؤلاء صنف مغرور يلهو ويزهو ويلعب ويتعالي على والديه، والوالدان يعرضان الإيمان عليهم فيقولوا ما هذا إلا أساطير الأولين.

زيارة صديق الوالدين:

لقد جعل الإسلام من بر الوالدين صلة صديقهما بعد وفاة الوالدين ففي الحديث الصحيح قال ﷺ: «**من البر أن تصل صديق أبيك**» [٤].

وهذا هو عبد الله بن عمر مر به أعرابي فقال: ألست فلان بن فلان؟ قال: بلي فأعطاه حماراً وعمامة وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يُولي وإن أباه كان صديقا لعمر رضي الله عنه**» [١].

**** وفي الترغيب والترهيب:**

---

(١)سورة لقمان الآية (١٥).
(٢) الأحقاف الآيتان (١٥، ١٦).
(٣) الأحقاف الآية (١٧).
(٤) حديث صحيح المعجم الأوسط (٧٣٠٣).
(١) رواه مسلم عن ابن عمر، قال الألباني صحيح، انظر صحيح الجامع برقم (٥٩٠١)، ١٣ - (٢٥٥٢).

أن عبد الله بن عمر كان يذهب لزيارة أبي بردة، ثم قال ابن عمر: أتدري لما أتيتك؟ قال: لا. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده**» وأنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك [١] وقد وصي النبي ﷺ بالوالدين خير وصية.

فقال ﷺ: «**رضي الله في رضي الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين**». [٢].

** وجاء رجل إلي رسول الله ﷺ يستأذنه في الجهاد معه، فقال النبي ﷺ: «**أحي والداك؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**» [٣].

** وجاء رجل إلي النبي ﷺ وقال: يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**» [٤].

إخوة الإسلام:

أما عن حقوق الوالدين بعد وفاتهما: فقد روي مسلم وأبو داود والنسائي من حديث (مالك بن ربيعة الساعدي) قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**».

حقاً إنه أدب نبوي كريم

فاللهم ارحم والدينا كما ربونا صغاراً اللهم آمين

* * *

(١) الأسرة المسلمة أسس ومبادئ.

(٢) رواه الترمذي من حديث ابن عمر (١٨٩٩) قال الألباني صحيح (٣٥٠٦)، في صحيح الجامع (٢٨٤٢)، ٥ - (٢٥٤٩) بصيغة (رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد).

(٣) البخاري ومسلم من حديث ابن عمر.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة، البخاري (٥٦٢٦)، مسلم ١ - (٢٥٤٨).

هل للإنسان أن يتمني الموت؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وبعد..

تمهيد:

إخوة الإيمان، لعلكم تذكرون أننا قد تكلمنا عما أعده الإسلام من أجل رعاية الإنسان وتكلمنا في ذلك عن فتراته الثلاثة: [الطفولة - الشباب - الشيخوخة].

وما يندرج تحت كلٍ بجانب من التفصيل ومما لا شك فيه أن المرحلة التي تلي مرحلة الشيخوخة هي: مرحلة الانتقال من دار الدنيا إلي الحياة الآخرة.

ويبدأ هذا الأمر وأبدأ الحديث عن هذه المرحلة بهذا السؤال: هل إذا ضاقت الحياة على الإنسان وظل يعاني من المعيشة ومن كثرة أعباء الحياة عليه ومن ضيق ذات اليد وكثرة نزول البلاء به هل له أن يتمني الموت ويدعو به عند نزول الضر؟

اعلم أن الموت أنواع ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، وتعددت الأسباب والموت واحد. وقد جاء النهي عن تمني الموت عند نزول الضر بالإنسان، كما جاء عن رسول الله ﷺ من حديث أنس: «**لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**» [(١)]

قال علماؤنا:

الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وتبدل حال، وانتقال من دار إلي دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله مصيبة، قال تعالي: {فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ} [(٢)].

(١)رواه البخارى ومسلم من حديث أنس (٥٣٤٧)، ١٠ - (٢٦٨٠).
(٢)سورة المائدة الآية (١٠٦).

فالموت هو المصيبة العظمي، وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وترك العمل له وكما جاء في الخبر: «**لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا**» [1].

وهذا مما جعل الأعرابي حينما كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتا فنزل الأعرابى عنه متعجبا وجعل يطوف به ويتفكر فيه ويقول: مالك لا تقوم؟ مالك لا تبعث؟ هذه أعضاؤك كاملة وجوارحك سالمة. ما شأنك؟ ما الذى كان يحملك؟ وانصرف متعجباً فى شأنه....

وروى عن محمد بن المنكدر قال: أنه قد مات ابن لآدم عليه السلام فقال: يا حواء قد مات ابنك.

فقالت: وما الموت؟ قال: لا يأكل ولا يشرب، ولا يقوم ولا يقعد، فرنت. فقال آدم عليه السلام: عليك الرنة وعلى بناتك. أنا وبنى منها براء[2].

يقول سهل التسترى: " لا يتمنَّ أحدكم الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله، أو مستحبا أو مشتاقا للقاء الله".

ولو أنا إذا متنا تركنا ::: لكان الموت غاية كل حى
ولكنا إذا متنا بعثنا ::: ونسأل بعده عن كل شىء

وقد روى أن ملك الموت جاء إلى الخليل إبراهيم ليقبض روحه، فقال إبراهيم: يا ملك الموت هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله؟ فعرج ملك الموت عليه السلام إلى ربه فقال قل له: هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ فرجع فقال: اقبض روحى الساعة.

كما جاء ذلك فى التذكرة عند القرطبى.

ويقول أبو الدرداء: " ما من مؤمن إلا والموت خير له فمن لم يصدقنى فإن الله يقول: {وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ } [1] ويقول ربنا..{وَلَا

(١)نقلا عن القرطبي في تذكرته
(٢)رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، في المعجم الأوسط للطبراني برقم (٢٢٣٢).
(١) سورة آل عمران الآية (١٩٨).

{ يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ } [١] ولذا فإنه يجوز تمني الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين. وقد جاء بيان ذلك حيث يقول تعالى مخبراً عن نبيه (يوسف عليه السلام):

{تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي } [٢].

وعن مريم: {يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا } [٣].

وقد روي مالك من حديث أبي هريرة: «**لا تقوم الساعة حتي يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه**» [٤].

واعلم أنه لم يتمن الموت أحد. لا نبي ولا غيره إلا (يوسف عليه السلام)، حين تكاملت عليه النعم، وجمع له الشمل، اشتاق إلي لقاء ربه عز وجل فقال: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا} فاشتاق لربه.

وقيل: إن يوسف لم يتمن الموت وإنما تمني [الوفاة] على الإسلام أي إذا جاء أجلي توفني مسلماً. أما " مريم " تمنت الموت لوجهين:

١ - أنها خافت أن يظن بها السوء في دينها وتعيّر فيفتنها ذلك.

٢ - لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والزور والنسبة إلي الزنا وذلك مهلك لهم. ولذا يجب ذكر الموت والاستعداد له... فقد كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بكثرة الاستعداد للموت [٥].

كما جاء ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات**» يعني الموت.. [٦].

وروي عن ابن عمر أنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي المؤمنين

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٧٨).
(٢) سورة يوسف الآية (١٠١).
(٣) سورة مريم الآية (٢٣).
(٤) رواه مالك من حديث أبي هريرة (٥٧٢)، قال الألباني صحيح برقم (٧٤٣٢) في صحيح الجامع.
(٥) نقلاً عن التذكرة للقرطبي.
(٦) رواه النسائي من حديث أبي هريرة (١٨٢٤) قال الألباني صحيح، حديث رقم (١٢١٠) في صحيح الجامع.

أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً» قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعد الموت استعداداً، أولئك الأكياس» [١].

وعن شداد بن أوس قال النبي ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» [٢]

أيها الأخوة المسلمون:

اعلموا أن ذكر الموت والآخرة يزهد في الدنيا.

فقد روي عن على بن أبي طالب " رضي الله عنه " أنه خرج إلي المقبرة فلما أشرف عليها قال: يا أهل القبور، أخبرونا عنكم أو نخبركم. أما خبر من قبلنا: فالمال قد اقتسم، والنساء قد تزوجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا. لم نر زاداً خيراً من التقوي قال علماؤنا:

ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية. واعلم أن المؤمن يموت بعرق الجبين [٣].

كما قال النبى ﷺ: «المؤمن يموت بعرق الجبين» [٤].

قال العلماء.... إنما يعرق جبينه حياء من ربه كما اقترف من مخالفته؛ لأن ما سلف منه قد مات، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا، والحياء فى العينين وذلك وقت الحياء.

والكافر.

فى عمى عن هذا كله والموحد المعذب فى شغل عن هذا بالعذاب الذى قد حل به، وإنما العرق الذى يظهر عليه حلت به الرحمة، فإنه ليس

(١) سنن ابن ماجه (٤٢٥٩)، صحيح ابن ماجة (٤٢٤٩) من حديث ابن عمر، قال الألباني (حسن) حديث رقم (٣٣٣٥) صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه الترمذى من حديث شداد بن أوس (٢٤٥٩) قال الألباني ضعيف (٤٣٠٥) في ضعيف الجامع.

(٣) نقلا عن التذكرة للقرطبى.

(٤) رواه ابن ماجه عن بريده (١٤٥٢) قال الألباني صحيح، انظر حديث رقم (٦٦٦٥) صحيح الجامع.

من ولى ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحى من ربه مع البشرى والكرامات، كما قال القرطبى فى تذكرته.

وقد روى عن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «**إن نفس المؤمن تخرج رشحاً وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها**» (١).

وكما يقول الشاعر الحكيم :

هى القناعة لا تبغي بها بدلاً ::: فيها النعيم وفيها راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ::: هل راح منها بغير القطن والكفن

وقد كان من دعاء النبى ﷺ: «**اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت فى الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون**» (٢).

ونأتى إلى سكرات الموت.

فما هى سكرات الموت؟ وما هى الفتن التى يتعرض لها المحتضر هذا هو موضوعنا فى اللقاء القادم إن شاء الله

نسأل الله أن يتوفانا على الإيمان، اللهم آمين.

* * *

(١)أخرجه الطبراني في الكبير برقم (١٠٠١٥)، الحديث قال الألباني (حسن) برقم (٢١٥١) السلسلة الصحيحة بحديث نحوه.

(٢) رواه مالك فى الموطأ (٥٠٨)، قال الألباني صحيح، حديث رقم (٥٩) صحيح الجامع.

obeikandl.com

سكرات الموت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وبعـد،

تكلمنا فى لقاء سابق حول الموت وهل للإنسان أن يتمنى الموت ولا سيما عندما ينزل به البلاء وتشتد به الكربات؟ وقد أجابنا رسول الله ﷺ على ذلك الأمر ولكن إذا ما كان الإنسان على فراش الموت وفى النزع الأخير من حياته فإنه يعانى من هول الموت ومن شدته ومن سكرات الموت.

أما عن سكرات الموت وشدته فى آيات القرآن الكريم فقد وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت فى أربع آيات من كتابه الكريم:

الأولى: قال جل وعلا: {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ}[1].

والمعنى.....

أى ترى أن هؤلاء الكفار وكل من كانوا يجحدون آيات الله ونعم الله جل وعلا، ولا يؤمنون به، تجدهم يعانون من شدة الموت ومن سكراته وغمراته. أخرجوا أنفسكم. فهم يفزعون حينما يرون ملائكة العذاب تحيط بهم من كل جانب ومن كل مكان ويضربونهم ضربا شديداً.....

الثانية: يقول جل شأنه: {وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾}[2].

والمعنى... وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أى كشفت لك عن اليقين الذى كنت تمترى فيه، فهذا هو الموت الذى كنت تفر منه قد جاءك فلا مفر ولا فكاك ولا خلاص.... والمخاطب فى ذلك الإنسان.

الثالثة: يقول تعالى: {فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾

(١) سورة الأنعام الآية (٩٣)
(٢) سورة ق الآية (١٩).

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾} [١].

والمعنى... فلولا إذا بلغت الروح الحلقوم أى: الحلق وذلك حين الاحتضار فهل وعيتم ما يحدث للمحتضر، وما يعانى من مشاق من سكرات الموت؟ فهل تستطيعون أن ترجعوا هذه النفس إلى حيث كانت؟{فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾} أى غير مصدقين إنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس [٢].

الرابعة: يقول تعالى: {كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾} [٣].

والمعنى... لست يا ابن آدم تستطيع أن تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا حينما تصل الروح إلى الترقوة وهى قريبة من الحلقوم وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعائق.. وكلمة " من راق " إما أنها: من الرقية بمعنى الشفاء، أو الرقى وهو الصعود إلى أعلى. ولكن فى جميع الأحوال لابد وأن يتم الفراق وعندها يلتف الساق بالساق بأن توضع الرجل اليمنى على اليسرى، وذلك يعنى توديع الأعضاء بعضها بعضا حيث أنه إلى ربك المساق أى المرجع والمآب.

أيها الأخوة الأحباب:

أما عن شدة الموت وما يعانيه المحتضر:

فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ :«**كان بين يديه ركوة أو علبه فيها ماء، فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات، ثم نصب يديه فجعل يقول: فى الرفيق الأعلى**» [٤] حتى قبض ومالت يده، ذكره القرطبى فى تذكرته.....

ويروى أن الحسن البصرى دخل على مريض يعوده، فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله، بغير

(١) سورة الواقعة الآيات (٨٣- ٨٥)
(٢) التذكرة للقرطبي
(٣) سورة القيامة الآيات (٢٥- ٣٠).
(٤) رواه البخارى عن حديث عائشة (٦١٤٥).

اللون الذى خرج به من عنده. فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال يا أهلاه، عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

ويقول النبى ﷺ: «**إن نفس المؤمن تخرج رشحا وأن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار**» (١).

وعن أنس عن النبى ﷺ: «**إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض، تقول عليك السلام، تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة**» (٢).

وقد روى أن موسى عليه السلام لما صارت روحه إلى الله.....

قال له ربه: " يا موسى، كيف وجدت الموت "؟ قال: وجدت نفسى كالعصفور الحى حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير..

وحتى يتضح لك الأمر عن شدة الموت.

فقد قال النبى ﷺ كما يروى جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ: قال: «**تحدثوا عن بنى إسرائيل فإنه كانت فيهم أعاجيب، ثم أنشأ يحدثنا قال: خرجت طائفة منهم فأتوا على مقبرة من مقابرهم، فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، فقال: ففعلوا. فبينما هم كذلك إذ طلع رجل رأسه بيضاء، أسود اللون خلا شيء بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلىّ؟ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت**» (٣) اللهم سلم سلم.

قال أهل العلم: إذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين فما لنا عن ذكره مشغولون؟ وعن الاستعداد له متخلفون؟

---

(١) المعجم الكبير للطبراني برقم (١٠٠١٥) قال الألباني حسن، برقم (٢١٥١) السلسلة الصحيحة.

(٢) كنز العمال برقم (٤٢١٨٣).

(٣) رواه أبو بكر، مسند عبد بن حميد (١١٥٦) فى مسنده عن جابر بن عبد الله.

{قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾} [1].

وما جرى للأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته له فائدتان:

الفائدة الأولى:

أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت، وأنه باطنى وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقا ويرى سهولة خروج روحه فيغلب على ظنه سهولة مرض الموت، ولا يعرف ما الميت فيه؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله وتهوينه على بعضهم - قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه.

الفائدة الثانية:

ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء أحباب الله، وأنبياؤه ورسله فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم أجمعين؟ فالجواب على ذلك: أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. فأحب الله أن يبتليهم تكميلاً لفضائلهم لديه ورفعة لدرجاتهم عنده، وليس ذلك فى حقهم نقصاً ولا عذاباً بل هو كما قال: "كمال رفعة " فأراد الحق سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ليرفع منازلهم ويعظم أجورهم قبل موتهم ".

وإذا ما دار بخاطرك هذا السؤال وهو:

هل أن كل المخلوقات تجد سكرات الموت؟

فاعلم أن الله قد خالف بين المخلوقات وفرق بين المحسوسات وبحسب ما خالف بين المنازل والدرجات. كما جاء ذلك فى التذكرة عند القرطبى واعلم:

أن هناك رسل ملك الموت قبل الوفاة: فقد جاء في كتاب " روضة المشتاق والطريق إلي الملك الخلاق " لأبي الفرج الجوزي: ورد أن

(١) سورة ص الآيتان (٦٧، ٦٨).

بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال لملك الموت عليه السلام: "أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟". قال: نعم، لي والله رسل كثيرة من الأعلال والأمراض، والشيب، والهموم، وتغير السمع والبصر، فإذا لم يتذكر من نزل بي ذلك ولم يتب، فإذا قبضته ناديته: ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ونذيراً بعد نذير؟ فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير.

فما من يوم تطلع فيه شمس ولا تغرب. وإلا وملك الموت ينادي. يا أبناء الأربعين: هذا وقت أخذ الزاد، أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شديدة. يا أبناء الخمسين: قد دنا وقت الأخذ والحصاد. ويا أبناء الستين: نسيتم العقاب، وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ}[1].

والإنذار يتأتي للناس بأمرين:

الأول: بالنبي ﷺ.

والثاني: الشيب وذلك عند كمال الأربعين.

{حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً}[2] واعلم أنه قد دخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال: من أنت؟ فقال: من لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور.. قال: فإذاً أنت ملك الموت؟ قال: نعم. قال: أتيتني ولم أستعد بعد؟ قال: يا داود أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات، قال أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد...؟

أيها الأخوة المسلمون:

اعلموا أن الشيطان يحضر للإنسان عند موته كما يقول أبو حامد في كتابه " كشف علوم الآخرة " : أنه قد روي عن النبي ﷺ :«**أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان، الأول عن يمينه، والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه على صفة أبيه يقول له: يا بني! إني كنت عليك شفيقاً، ولك محبا، ولكن مت على النصرانية فهو خير الأديان. والذي على شماله على صفة أمه تقول**

(١) سورة فاطر الآية(٣٧).
(٢) سورة الأحقاف الآية (١٥).

لـه: يا بني إن بطني كانت لك وعاء، وثديي لك سقاء، وفخذي لك وطاء فمت على دين اليهود وهو من خير الأديان»، وهكذا، ينشر الشيطان أعوانه على صور أحباء الإنسان ممن ماتوا، فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغه، وهذا هو معني قولـه: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ } [1] فإذا أراد الله بعبده خيرا وهداية وتثبيتاً جاءته "الرحمة " وقيل هو جبريل يأتي فيطرد الشيطان ويمسح الشحوب عن وجه المحتضر " أي العرق " عندها يبتسم الميت لا محالة، كثيراً ما نري مبتسما في هذا المقام فرحا بالبشير الذي جاء من عند الله فيقول يا فلان أما تعرفني؟

أنا جبريل، وهؤلاء أعداؤك من الشياطين " مت على الملة الحنيفية والشريعة الجديدة. فما شيء أحب إلي الإنسان وأفرح منه بذلك الملك وهذا هو قولـه:{وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ } وهذا هو عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: حينما حضر وفاة أبيه أحمد كان في يدي خرقة " قماشة " لأشد لحييه " أي فكيه " يغرق ثم يفيق، ويقول بيده: لا وبعداً. لا وبعدا. فعل هذا مرارا. فقلت: يا أبي أي شيء يبدو منك؟ فقال: إن الشيطان قائم بحذائي " يعني بجواري " يقول لي: مت على اليهودية. فأقول لـه: لا وبعدا. ثم يأتيني من الناحية الأخرى ويقول لي: مت على النصرانية. فأقول: لا وبعدا لا وبعدا [2].

نسأل الله الثبات حتى الممات.

* * *

(١) سورة آل عمران الآية (٨).
(٢) الروح لابن القيم.